٨ رايحين على فين .. ؟

لقد جبلت الشعوب على الحلم، وغالبًا ما تكلف الحكومات بتحقيقه، وفي إطار تحقيق هذا الحلم الذي هو حق مكفول للشعوب ربما تقف الطبيعة بكوارثها حائلًا دون تحقيقه، وعندها تتوحد إرادة الشعوب والحكومات لمجابهة قوى الطبيعة تمسكًا بحقهم في، إذا انتصرت الطبيعة على الحلم تكون الشعوب وليس الحكومات هي الضحايا، وفي أحايين كثيرة تصبح الحكومة هي الحائل الأساسي دون تحقيق الشعب لأحلامه المشروعة،، وهنا يصبح الحلم أزمة، يتعامل معها الشعب بروح الدبلوماسية الهادئة والتي غالبًا ما تعتبرها الحكومات تعبيرًا عن الضعف وفقدان للحول والقوة، وإذا تمادت الحكومات في استعلائها وتجاهلها لأحلام الشعوب، واختلفت إرادة كل منهما حتى تصادمت؛ هَبّت الشعوب ثائرة، ثورة ليست لتغيير النظام كما حدث في مصر وإنما ثورة لتحقيق الحلم وإنفاذ الطموح وتوسيع الخيارات وفرص السعادة أمام أبناء الشعب التي أغلقت الحكومة أمامها كل منفذ. والثابت في كل هذه الحالات هو امتلاك الشعب لزمام حكمه ومفاتيح حريته في الرأي والتعبير عن الحلم، وعليه أن يتحمل دائمًا أخطاء الديمقراطية التي ضحى من أجلها بالثمين من موارده ودماء أبناؤه. لقد أخطأت الميادين الثائرة في فهمها للنظام، كما أخطأت الفهم لكثير من مصطلحات الثورة، ففلول النظام الحقيقيين ليسوا أعضاء الحزب الوطني المنحل وإنما المشكلات

الاجتماعية والاقتصادية التي ورثها النظام البائد للثورة والشعب، وأن الثورة المضادة ليست هي ثورة فلول الوطني الحالمين بعودته بل هي ثورة الأغلبية الصامتة التي لا ترى في أعينها سوى الخبز كبديل للحرية التي ينشدها التحرير.

والغريب في الحالة المصرية أن تعطش الشعب للحرية وفرحته بالانتصار على النظام الفاسد جعله يقبل بنظام جديد ليس لكونه الأفضل ولكنه المغاير للنظام الذي كَبَل حريته وقيد طموحاته وكسر ميزان العدل فيه، وربما كان البديل هو الأصعب والأخطر، بيد أن الشعب وليس الميدان هنا ما زال يرغب في المكوث كثيرًا في معامل التجريب، والسؤال هنا من سوف يدفع فاتورة التجريب والتجارب الفاشلة سوى فقراء هذا الشعب وضعفاؤه الذين هم دائمًا ما يكونوا وقودًا للصراعات والحروب والثورات. هل سوف تظل مصر طويلًا بين مطرقة النظام البائد وسندان ثوار التحرير، ومتى تتوقف الثورة وتنظفئ نيرانها، خاصة وأن التحرير قد أعلن أنها مستمرة بلا توقف، متى يعبر الشعب عن مطالبه دون وصاية عليه من الميادين التي قَسَّمت إرادة الشعب بين العباسية والتحرير؟ ومتى تكف الإرادة المصرية عن التعصب والتطرف في خياراتها وترضى بالوسطية بديلًا للنظام، فهي انتقلت من الحزب الوطني بسياساته المتجبرة لتحتكم إلى الدين في تشكيل البرلمان – من أقصى الشمال إلى أقصى اليمين – ونحن لسنا ضد الدولة الدينية ولكن كنت أتمنى أن يتم إقامتها عن وعي كامل من الشعب وأن يكون التصويت لا لعرق ولا قرابة ولا لدين، ولكن المعيار هو الأفضل مهما كانت عقيدته السياسية والدينية ومهما كانت خلفياته الثقافية، لا شك أن تطرف الناخبين في اختيار أعضاء البرلمان هو ضرب للثورة في عنقها وإهدار مقصودًا لأرواح الشهداء.

متى تتوحد إرادة الشعب مع الحكومة في النهوض بالاقتصاد المصري، الذي ربما إن نهض ونمى تغيرت ثقافة الشعب وأحسن اختيار قياداته وممثليه، فالعلاقة بين الثقافة

والاقتصاد وثيقة للغاية، وعمومًا فإن أغفلت الثورة بعدها الاقتصادي واستشعرت الأغلبية الصامتة أو حزب الكنبة كما يدعون بمخاطر الجوع ربما تحركت هذه الجموع من كل حدب وصوب – فهي لا تعرف الميادين ولا تفهم في السياسة ولا ترى في أعينها سوى الخبز .. عنده احذروا من ثورة للجياع.

□ □ □ □